

الفصل السابع

حول فضل

العلم والعلماء ... فى الديانة الإسلامية

سألنى الواعظ : *تعتلى المنابر...؟! ...*
فقلت له : *بل ألق خارج المسجد ... لأشير إليه ...*
لكل من ضل الطريق عنه ...!!

بعد أن انتهينا إلى كون الدين " قضية علمية كلية " يحوى بين دفتيه قوانين الحياة والعلم الفيزيائى ، لا بد وأن يكون المدخل إلى الدين مدخلا علميا ، ونستطيع أن نلخص ما سبق عرضه فى الآتى :

- أن الدين علم .
- والمتكلم فى الدين هو " الله " — بكمالاته المطلقة — الذى أحاط بكل شىء علما .
- والكتاب الموحى به من الله هو " كتاب علم " أيضا ، قد أحكت صياغته .

وبديهى والأمر كذلك ؛ فمن يستطيع استيعاب هذا المفهوم والحكم على صحة الكتاب والدين؟! ويجيب المولى (ﷺ) على هذا السؤال بقوله تعالى :

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦) ﴾

(القرآن المجيد : سبأ {٣٤} : ٦)

وهكذا يتحدد – بنص مباشر – الشرط الواجب توافره فيمن يستطيع الحكم على الدين وطبيعة الكتاب المنزل من الله ، في أنه يجب أن يكون من ﴿ .. الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ .. ﴾ ، أى أن يكون من العلماء .

وهكذا المدخل إلى الدين هو العلم ، والأقدر على فهم الدين هم العلماء . ثم تلى النتيجة الطبيعية لمعرفة أن هذا الكتاب منزل من عند الله (ﷻ) هو التصديق به والإيمان به ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) ﴾

(القرآن المجيد : الحج {٢٢} : ٥٤)

[فتخبت له قلوبهم : أى تخضع قلوبهم للقران وتدعن بالتصديق به]

حيث تبين هذه الآية الكريمة ؛ أن الإمتداد الطبيعى للمعرفة بأن هذا الكتاب منزل من عند الله هو الإيمان به ﴿ ... فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ... ﴾ أى تخضع له قلوبهم وتدعن بالتصديق به (أى بالتصديق بالقران) . وهكذا نزل الدين بالمفهوم العلمى بالمعنى العريض للكلمة ، ومن ثم ' فالقضية الدينية ' هى ' قضية علمية ' و ' القضية العلمية ' هى ' قضية دينية ' ، أى لا فرق بينهما .

وتموج الديانة الإسلامية موجا بالعلم فى كل تعاليمها ، لسبب بسيط جدا ، لأن دستورها هو القرآن المجيد ، والمدخل إلى القرآن المجيد هو العلم .. لقوله تعالى :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣) ﴾

(القرآن المجيد العنكبوت {٢٩} : ٤٣)

أى أن كل ما يجيء به القرآن المجيد من أمثال وفكر ، لا يعقلها الا العلماء . فالفكر القرانى هو فكر علمى وعقلى فى المقام الأول والأخير . وبديهى والحال كهذا ؛ يقوم علماء المسلمين –

عقب تنزيل القرآن مباشرة - إلى تقسيم النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة ، أى أحاديث الرسول (ﷺ) ، عن العلم ^١ إلى مواضيع وأبواب كثيرة منها :

١. فضل العلم
٢. منزلة العلماء
٣. العلماء ورثة الأنبياء
٤. طلب العلم والعمل به
٥. مجالس العلماء
٦. كتابة العلم وحفظه
٧. التدقيق فى العلم
٨. تبليغ العلم
٩. الفهم فى العلم
١٠. انتشار العلم
١١. امتهان العلم
١٢. آداب العلم

ويدهى ؛ لن نتناول كل هذه البنود بالتفصيل ، وإلا ما وسعنا هذا الكتاب فى التعرض لكل ما جاء حولها ، ولكن سوف نوجز ونجمل الخطوط العريضة فحسب التى تتحرك فى إطارها

^١ من منطلق عرض الحقائق ؛ نجد أن موقف " الكتاب المقدس " (الديانة المسيحية) من العلم والعلماء هو دعوة صريحة لإعتناق الجهل والترويج له ، فمن النص المقدس التالى :

[(١٨) ... إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصير جاهلا لى يصير حكيمًا]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس {٣} : ١٨)

نرى ؛ بأنه ينبى على الإنسان أن يكون جاهلا لى يصير حكيمًا ، وهو ما يعنى أن الحكمة فى الجهل . وينبىهى والحال كهذا ؛ لن يقع إختيار " الإله " إلا على الجهلة - أيضا - للتبليغ عنه ...!!!

[(٢٧) بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء ...]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس {١} : ٢٧)

بل ويشن " الإله فى الكتاب المقدس " حملة شعواء على الحكماء .. فيقول :

[(١٩) لأنه مكتوب سايبد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء (٢٠) أين الحكيم . أين الكاتب . أين مباحث هذا الدهر . ألم يُجهل الله حكمة هذا العالم (٢١) لأنه إذ كان العالم فى حكمة الله لم يُعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة : *by the foolishness of preaching*]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس {١} : ١٩)

وهو نص لا يحتاج منا إلى تعليق ...!!! فـ " الإله " سوف يبدي حكمة الحكماء ، ويرفض فهم الفهماء ، ويُجهل حكمة العالم ، كما استحسن أن يجرى خلاصه بحماة العظمت الدينية (كما هو واضح من النص الإنجليزى ، وهى الترجمة المأخوذة عن : الكتاب المقدس ، نسخة الملك جيمس) . وليس هذا فحسب .. بل .. هو ..

[(٢٥) ... مرجع الحكماء إلى الثراء ومجهل معرفتهم]
(الكتاب المقدس : أشعياء : {٤٤} : ٢٥)

فهذه بعض نصوص " الكتاب المقدس " حول ما جاء عن العلم والحكمة والحكماء ؛ ولمزيد من التفاصيل ، ولروية طبيعة " البرهان العلمى فى الديانة المسيحية " ومدى فحش وهبوط هذا المنظور ، أنظر : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإيمان " ، لنفس مؤلف هذا الكتاب .

الديانة الإسلامية التي تعلق من شأن العلم والعلماء ، حتى تعتبر العلم هو ميراث الأنبياء ، كما جاء في قول رسول الله (ﷺ) ٢ ..

.. ' إن العلماء هم ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا علماً ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر ' .

بل أن العلم وطلبه هو المدخل إلى نيل الخلاص ، فطلب العلم هو الطريق إلى الجنة ، لقول رسول الله (ﷺ) ٣ ...

' من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان (الأسماك) في الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب .. ' .

فهكذا حياة الإنسان من المنظور الإسلامي ، لا يتجاوز معناها عن السعي في طلب العلم ... فالعلم هو المدخل لتحقيق الغايات من الخلق وأولها هو إدراك وجود الله (ﷻ) . وتدرج المعرفة بالله (ﷻ) يأتي في قوله تعالى على النحو التالي :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوْلُوا الْعِلْمَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨)

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ١٨)

وهكذا تدرج المعرفة بالله (ﷻ) : الله (ﷻ) يشهد لكمالهِ ولذاته بالربوبية والوحدانية وبأنه لا شريك له في الخلق ولا في الأداء ، فهو القيوم على خلقه ... وهو القائم بالقسط والعدل في ملكه . ثم تأتي الملائكة - بعد ذلك - لتشهد على هذا الوجود وعلى هذه الوحدانية .. شهادة حضرة ، أي إدراك ورؤية مباشرة . ثم يأتي العلماء ليشهدوا على كل هذا شهادة علم .. ثم لتربيدهم هذه المعرفة الخشية من الله ، عز وجل ..

٢ سنن الترمذي ؛ حديث رقم (٢٦٠٦) ؛ عن قيس ابن كثير عن أبي الدرداء .

٣ سنن ابن ماجه ؛ حديث رقم (٢١٩) ؛ عن كثير بن قيس .

﴿ ... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٢٨)

(القرآن المجيد : فاطر {٣٥} : ٢٨)

وبديهى تمثل هذه الآية الكريمة معرفة إختبارية .. أى يستطيع قطاع كبير من المؤمنين التحقق من صحتها بشكل مباشر .. أو كل من أدرك من العلم مما يكفى لمعرفة هذه الخشية ..

وظالما العلم كذلك ، يأتى قول رسول الله (ﷺ) ٤ ..

' اخذُ عالما أو متعلما ولا خير فيما سواهما '

وربما كان هذا لسبب بسيط ، كما قال رسول الله (ﷺ) ٥ ، هو أن ...

' العالم والمتعلم شريكان فى الأجر ، ولا خير فى سائر الناس '

ثم يزيد رسول الله (ﷺ) فيقول ٦ ...

' من علم العلم فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل '

ثم نأتى إلى " العقل " فى الديانة الإسلامية ، فنجد أن ذكره يأتى فى القرآن المجيد (هو ومشتقاته) فى (٤٩) موضع . ويرتبط العقل ، فى الديانة الإسلامية ، بنيل الخلاص وحسن المصير ، وهو ما يعنى أن " القضية الدينية " هى قضية عقلية فى المقام الأول والأخير ، وليست صورة من صور الاعتقاد فحسب . ونضرب على ذلك مثلين ؛ المثل الأول يمثل إرتباط فهم معانى القرآن بالعقل وبالعلم ، وهو ما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (٤٣)

(القرآن المجيد : العنكبوت {٢٩} : ٤٣)

أما المثل الثانى ، فهو يرتبط بعدم " تعقل " الكفرة لمعنى القضية الدينية ، ويتمثل هذا فى إجابتهم فى الآخرة — عند سؤالهم عن الرسل والنذر المرسله إليهم ، فتأتى الإجابة — بعد فوات

٤ سنن الدارمى ؛ حديث رقم (٣٤١) ؛ عن عبدالله بن مسعود .

٥ سنن ابن ماجه ؛ حديث رقم (٢٢٤) ، عن أبى إمامة .

٦ سنن ابن ماجه ؛ حديث رقم (٢٣٦) ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه .

الأوان — بأنهم كانوا لا يستمعون إليهم ، وحتى إذا سمعوا ما كانوا يعقلون ما يسمعون .. ويأتى هذا المشهد فى قوله تعالى :

﴿ ... أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَسْمِعُوا إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) ﴾
(القرآن المجيد : الملك {٦٧} : ٨ - ١٠)

[المسعير : النار]

وهنا يأتى أهمية السمع والعقل والتعقل للإنسان لنيل الخلاص المأمول .

والتفكير من المنظور الإسلامى ، يقود مباشرة إلى الإيمان ، كما يأتى هذا فى قوله تعالى :

﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِّأُولَى الْأَبْصَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ١٩٠ - ١٩١)

كما وأن الإيمان لا يأتى من فراغ بل يأتى من العلم ، وبهذا لا يستوى الذين يعلمون والذين لا لا يعلمون ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ أَمِنَ هُوَ قَائِمًا أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَبْصَابِ (٩) ﴾

(القرآن المجيد : الزمر {٣٩} : ٩)

[أمن هو قامت : هى مقارنة مع ما سبقها من آيات ، وتعنى هذا الذى يضل عن سبيل الله مثل من هو قامت : مطيع لله / أثناء الليل : ساعاته / يحذر الآخرة : يخاف الآخرة]

ويعتبر الإسلام " العلم " بأنه — يكاد يكون — الوسيلة الوحيدة للتحقق من صحة هذا " البلاغ العقلاى " القادم من الله (ﷻ) ، حتى بات العلم — من المنظور القرآنى — هو وسيلة التفضيل بين مفردات الوجود الإنسانى .. لهذا يجىء قوله تعالى ..

﴿ ... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (١١) ﴾

(القرآن المجيد : المجادلة (٥٨) : ١١)

وقد يتنبه الإنسان — أو قد لا يتنبه — إلى موضع كلمة ﴿ ... مِنْكُمْ ... ﴾ في سياق كلمات الآية الكريمة السابقة ، ليدرك أنه يوجد سياقين في التفضيل . سياق تفضيل إيماني يقع في داخله المنظور الإسلامي ﴿ ... الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ... ﴾ أى أنه أمر مقصور على المسلمين فقط . وسياق تفضيلي آخر ، هو سياق تفضيل علمي — مستقل عن الإيمان الإسلامي — تقع في داخله البشرية جمعاء ، أى ﴿ ... وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ... ﴾ من كل البشرية بما في ذلك المسلمين وغير المسلمين .

ولهذا تأتي أولى آيات القرآن المجيد قاطبة على محمد (ﷺ) دعوة إلى العلم والتعلم ، وبديهي أن هذا المدخل لن يتحقق إلا بالقراءة والكتابة ، كما جاء في قوله تعالى :

﴿ أَفَسِرًّا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾

(القرآن المجيد : العلق {٩٦} : ١ - ٥)

وهذه الآيات الكريمة تحوى طيف عريض من المعانى الكلية حول معنى وطبيعة خلق الإنسان ، سبق التعرض لجزء منه ، ونركز — الآن — فقط على معنى " القلم " . فبديهي ؛ أن " القلم " هو ذاكرة التاريخ وحضارة الإنسان ، ويأتى هذا من طبيعة وكيفية عملية تعلم الإنسان التى لا تتحقق إلا باستخدام القلم . فمهما أوتى الفرد من ذكاء فإنه لا يستطيع حل أبسط المعادلات إلا باستخدام القلم .. وهكذا عن عمليات التعلم الأخرى .

والسعى وراء المعرفة هو أمر إلهي صريح .. لقوله تعالى :

﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. (١٠١) ﴾

(القرآن المجيد : يونس {١٠} : ١٠١)

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ .. (٢٠) ﴾

(القرآن المجيد : العنكبوت {٢٩} : ٢٠)

وهكذا ؛ العلم له درجته الخاصة به ، كما وأن الإيمان له درجته المستقلة عن درجة العلم ،
وهي درجة مقصورة على المسلمين فحسب . بل ويمتد أثر العلم وفضله على الإنسان إلى ما
وراء الموت ، أي يتابعه العلم إلى العوالم الأخرى ... لقول الرسول (ﷺ)^٧ :

“ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح
يدعو له ”

فهكذا فضل العلم يلاحق الإنسان في جميع صور وجوده الممتد إلى العوالم الأخرى ، فهو ليس
مقصورا على عالمنا هذا ، بل يمتد إلى ما بعد مغادرتنا لهذا العالم إلى العوالم الأخرى

ولهذا يقول رسول الله (ﷺ)^٨ ...

“ لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ، ورجل آتاه الله
الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ”

وحول فضل العلماء ، نورد قول أبو إمامة الباهلي^٩ ، بأنه :

“ ذكر لرسول الله (ﷺ) رجلان أحدهما عابد والآخر عالم ، قال رسول الله (ﷺ) فضل
العالم على العابد كفضلي على أنثامكم . ثم قال رسول الله (ﷺ) إن الله وملائكته ، وأهل
السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير . ”

وفي قول آخر لرسول الله (ﷺ)^{١٠} عن فضل العلماء ...

“ إن مثل العلماء في الأرض كممثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ،
فإذا انطمست النجوم أوشك أن يضل الهداة . ”

^٧ سنن الترمذي حديث رقم (١٢٩٧) ، عن أبي هريرة .

^٨ صحيح البخاري ؛ حديث رقم (٧١) ، عن عبد الله بن مسعود .

^٩ سنن الترمذي ؛ حديث رقم (٢٦٠٩) ، عن أبي إمامة الباهلي

^{١٠} مسند أحمد ؛ حديث رقم (١٢١٣٩) ، عن أنس بن مالك .

وقال رسول الله (ﷺ) ١١ ..

" من نقص عن مسلم كربة من كرب الدنيا نقص الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، ومن يسر على مُعسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ، ونزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكروهم الله فيمن عنده ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه "

ومرفوض إسلاميا كتم العلم ، تقول رسول الله (ﷺ) ١٢ ...

" من سُئِلَ عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة "

ويتأكد هذا المعنى في قول آخر لرسول الله (ﷺ) ١٣ ...

" ما من رجل يحفظ علما فبكتمه إلا أتى به يوم القيامة مُلجَمًا بلجام من النار "

ويُرَغِب رسول الله (ﷺ) في نشر العلم فيقول ١٤ ...

" نَضَرَ الله امرأ سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ ، فَرُبَّ مَبْلُغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ "

والمسؤال عن العلم هو سؤال أساسي في اليوم الآخر ، كما في قول الرسول الكريم (ﷺ) ١٥ :

" لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن : عمره فيما أفناه ، وعلمه فيما فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق ، وعن جسمه فيما أبلاه "

١١ سنن ابن ماجه ٤ حديث رقم (٢٢١) ، عن عبد أبي هريره .

١٢ سنن أبي داود ٤ حديث رقم (٢١٧٣) ، رواه عبد الرحمن .

١٣ سنن ابن ماجه ٤ حديث رقم (٢٣٠) ، عن أبي هريره .

١٤ سنن الترمذى ٤ حديث رقم (٢٥٨١) ، رواه عبد الله .

١٥ سنن الترمذى ٤ حديث رقم (٢٣٤١) ، رواه نضله بن عبيد .

وعن التدقيق في العلم يقول رسول الله (ﷺ) ١٦ ..

‘ من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ’

والعلم هو خير وسيلة للحياة .. كما يأتي هذا المعنى في قول رسول الله (ﷺ) ١٧ ..

‘ ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا إلا من أحياه الله بالعلم ’

ثم نختم هذه العجالة بقول رسول الله (ﷺ) ١٨ ..

‘ فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ’

والفقيه هو العالم العابد ..

وقبل أن نغادر هذا الفصل ؛ لا بد لنا من ذكر موقف الدولة الإسلامية من العلم والفلسفة ؛ فتاريخيا نجد أن الدولة الإسلامية كانت أرحب صدرا وأسمح فكرا مع الفلسفة اليونانية من بلاد العالم اليوناني الذي نشأت فيه ، ويمكن أن نتبين ذلك من مصائر فلاسفة اليونان ذاتهم . فثالوث الفلسفة اليونانية يتجمع في : " سقراط : Socrate " ١٩ (٤٦٩ - ٣٩٩ ق.م .) ، و " أفلاطون : Platon " (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م .) تلميذ سقراط ، و " أرسطو : Aristotle " (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م .) تلميذ أفلاطون . فقد حوكم سقراط بثلاث تهم هي : إنكار الآلهة القومية ، تنصيب الهة جديدة خاصة به ، وإفساد الشباب . وقد حكم عليه بالموت بأن حمل إليه كأس مسمومة شربها بشجاعة بعد أن رفض أن يهرب . وأفلاطون بيع في سوق العبيد ، وارسطو نجا بنفسه من أثينا خوفا من عاقبة كعاقبة سقراط ، بعد أن رماه كاهن من كهانها بالإلحاد . فإذا ذهبنا إلى الفيثاغورثيون فقد مات فيثاغورث قتيلا بجانب مزرعة فول . وهكذا ؛ كان حال الفلاسفة والمفكرين مع محاكم التفتيش حتى بداية عصر النهضة ..!!!

١٦ مسند أحمد ؛ حديث رقم (١٩٦٥) ، رواه ابن عباس .

١٧ سنن ابن ماجه ؛ حديث رقم (٣٩٤٤) ، عن أبي أمامة .

١٨ سنن ابن ماجه ؛ حديث رقم (٢١٨) ، عن ابن عباس .

١٩ يعتبر هو وأفلاطون وأرسطو واضعي أسس الثقافة الغربية .

ونقارن بين أحوال فلاسفة اليونان وبين أحوال فلاسفة المسلمين ، فلا نرى أحدا أصيب
 بمثل هذا المصاب من جراء الفلسفة أو الأفكار الفلسفية ، ومن أصيب منهم يوما بمكروه فإنما
 كان من كيد السياسة ولم يكن من حرج بالفلسفة أو حرج على الأفكار^{٢٠} . فأشهر فلاسفة
 المسلمين في المشرق : " ابن سينا : Avicenna " ٢١ (٩٨٠ - ١٠٣٧) الملقب بالشيخ
 الرئيس دخل السجن لأنه كان عند أمير همدان فبرم بالمقام عنده ، وأراد أن يلحق بأمير أصفهان
 علاء الدولة بن كاكويه فسجنه أمير همدان ليبيقيه إلى جواره ، ولم يسجنه على رأى من أرائه .
 والفيلسوف العربي : " ابن رشد : Averroes " ٢٢ (١١٢٦ - ١١٩٨) ، أشهر فلاسفة
 المسلمين في المغرب ، أصابته النكبة لأنه لقب الخليفة المنصور في بعض كتبه بلقب " ملك
 البربر " . وهكذا ؛ فكثير من نكبات الفلاسفة المسلمين لم يكن سببها الفلسفة أو الدين ، بل كانوا
 ضحايا للسياسة فينالهم منها ما ينال سائر ضحاياها .!!!

ثم انتهى هذا الفصل بقول رسول الله (ﷺ) ٢٣ ...

" ألا ليبلغ الشاهد الغائب "

فهذا هو الإسلام وموقفه من العلم والعماء في عجالة قصيرة ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقَرَأْنَا مَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى
 النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا
 يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا
 (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَسْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ١٠٥ - ١٠٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ٢٠ التفكير فريضة إسلامية ، عباس محمود العقاد . دار الكتاب العربي ، ص : ٦٦ .
 ٢١ طبيب وفيلسوف عربي ، تجاوزت مصنفاته المئة ، ومن أشهرها كتاب " القانون " في الطب .
 ٢٢ فيلسوف عربي أندلسي (أسباني) حاول التوفيق بين الشريعة الإسلامية والفلسفة اليونانية .
 ٢٣ سنن ابن ماجه ؛ حديث رقم (٢٥٧) ، رواه معاوية .

وكما نرى ؛ فهي آيات إخبارية إختبارية قابلة للملاحظة والتدقيق والتحقيق ، فهي تصف الجانب النفسى لما يمكن أن يكون عليه رد فعل الجانب النفسى للذين أوتوا العلم تجاه الآيات القرآنية عندما تتلى عليهم ، أو عند تلاوتهم للقرآن المجيد . وبديهي ؛ لا يمكن أن يقول بمثل هذا القول إلا الخالق المطلق (ﷻ) لسبب بسيط جدا ، هو أنه المحيط بما خلق . فـ " الله " (ﷻ) هو الخالق الذى ركب الطبيعة الفطرية لدى الإنسان و" رد الفعل التلقائى " ٢٤ ، فى الجانب النفسى للإنسان عند سماع النص القرآنى وإدراك معانيه . وهذا عين ما يحدث فعلا لكثير من العلماء والعامة والخاصة عند سماعهم للنص القرآنى .. فربما كان البكاء هو سمة رد الفعل الطبيعى لامتزاز معانى القرآن المجيد (القضية العقلية) بوجود الحضرة الإلهية (القضية العاطفية) .. ليصل الإنسان بهذا المزج إلى الذروة فى إدراكه لوجوده .. وإلى الذروة فى إدراكه لأحزانه .. وإلى الذروة فى إدراكه لأبديته .. وهو ما يؤدى إلى تلقائية سجود الإنسان لقدرة .. تتعالى عظمة وكبرياء على وجود متناهى ..

﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣٧)

(القرآن المحيد : الجاثية {٤٥} : ٣٧)

قدرة تتجلى وتقصح عن ذاتها فى الإحاطة .. وفى الإستعلاء .. وفى اللاتناهى .. وهكذا إدراك أولى العلم .. لله .. سبحانه وتعالى !!!..

٢٤ البكاء عند قراءة القرآن أو سماعه وإدراك معانيه ليست ظاهرة فريدة أو ظاهرة خاصة لا نجدها إلا عند المؤمنين أو أهل العلم فقط من المسلمين ، بل هى ظاهرة عامة جدا ومنتشرة حتى بين العوام والبسطاء ، وربما لا تخلو صلاة - جماعية - من دموع أو بكاء وذلك عندما يمتزج إدراك المعانى بإدراك الحضرة الإلهية (أى الإحساس الصادق بوجود الله ، سبحانه وتعالى) . و " إدراك المعانى " هو قضية عقلية ، بينما " إدراك الحضرة الإلهية " هى قضية عاطفية ، والمزج بينهما فى النص الدينى يمثل ذروة إدراك الإنسان .. لوجوده . وأحزانه .. وأبديته !!!..